

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

اهتدى العرب إلى القافية منذ عهد بعيد لا نملك من الدلائل ما يكشف عن حدوده ، وتناول بهم الزمن ، فوضعوا لها ما أحبوا من قواعد لسنا ندرى أيضاً متى وضعوها ؟ ومتى انفقوا عليها ؟ ولكن ما بين أيدينا من شعر جاهلي تام في نظامه ، كامل في قواعده ، ينسب عن هذا الزمن البعيد ، والتطور الدائب .

وعلى الرغم من أسفنا لضياح هذه الأطوار الأولى ، بقي لنا من أخبار الجاهلية المتأخرة ما يئم عن تنبه العرب ، وخاصة من تحضر منهم ، إلى بعض الظواهر المتصلة بالقوافي ، وما قد يصيب الأوضاع التي تعارفوا عليها بالخلل ، وإن كان أحد منهم لم يعلن عن هذه الأوضاع . فالقافية التي عرفوها وضعوها لها اسماً خاصاً بها نستطيع أن نستنبط من شيوعه أنهم وضعوه منذ زمن بعيد^(١) .

ووضعوا اسماً آخر قد يدل على تنبه أعمق من سابقه لدلالته على أحد أجزاء القافية ، ذلك هو الرُّويّ ، قال المعري^(٢) : « الروي : الحرف الذي تُبني عليه القافية . وقد كانت العرب تعرفه في الجاهلية . قال النابغة :

بِحَسْبِكَ أَنْ تُهَاضَ بِمُحَكَمَاتٍ يَمَرُّ بِهَا الرَّوِيُّ عَلَى لِسَانِي »

وأعلن التنوخي^(٣) - تلميذ المعري - أن العرب ليس عندهم معرفة بشيء آخر من حروف القافية ، فإن صححت هذه الرواية كان العرب في الجاهلية قد فرقوا بين القافية والروي . ولكنني غير مطمئن إلى هذا القول ؛ فلم أجده عند غير المعري وتلميذه ، ولم يروياه عن غير النابغة من الشعراء المعاصرين له والتالين في الجاهلية . ورواية المعري غير متفق عليها : فقد روى ابن السكيت البيت^(٤) : « يمر بها العويّ على لساني » يعني شيطان شعره - وفق عرفهم . وهي

(١) انظر الحديث عن القافية في اللغة والشعر .

(٢) الفصول والغايات ٤٦٤ . وتهاض : تكسر وتذل . وعككات : قواف .

(٣) القوافي ٧٤ .

(٤) ديوانه ١٤٨ .

رواية أوضح من رواية المعري وأيسر فهما .

وإذا كان الشك يحيط بهذا الاسم فإن شيئاً منه لا يتسرب إلى إحساس العرب القدماء ببعض ألوان الخلل في القوافي ، ومحاولتهم إعطاءها الأسماء الخاصة بها . وأقدم ما عثرت عليه ما يحكى عن إخلال النابغة الذبياني بوحدة حركة الروى . وقد حاول من فطن إلى هذا الخلل أن ينبه الشاعر فلم يتبته ، حتى اضطر أن يلجأ إلى الغناء الذى يمد الأصوات ويبينها في جلاء ، فانتبه الشاعر إلى ما وقع فيه . قال أبو عمرو بن العلاء^(٥) : « دخل النابغة إلى المدينة ، فقالوا له : قد أقوىت في شعرك . وأفهموه ، فلم يفهم حتى جاءوه بقينة ، فجعلت تغنيه :
أَمِنْ آل مِيَّةٍ رَائِحٌ أَوْ مُعْتَدٍ عَجَلَانَ ذَا زَادٍ ، وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ
زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنْ رَحَلْتَنَا غَدًا وَبِذَاكَ خَبَرْنَا الْغَرَابُ الْأَسْوَدُ
وتبين الباء في «مزودى» و «معتدى» . ثم غنت البيت الآخر ، فبينت الضمة في قوله «الأسود» بعد الدال . ففطن لذلك فغيره وقال : (ويذاك تتعاب الغراب الأسود) وكان النابغة يقول : دخلت يثرب وفي شعري شيء ، وخرجت وأنا أشعر الناس .

وتكرر الخبر نفسه مع شاعر جاهلى آخر كان قريب عهد بالإسلام : قال أبو عمرو ابن العلاء أيضاً^(٦) : « فَحَلَّانَ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَانَا يُقَوِّيَانِ : النَّابِغَةَ ، وَبِشْرَ بْنَ أَبِي خَازِمٍ : فَأَمَّا النَّابِغَةُ فَدَخَلَ يَثْرِبَ . . . وَأَمَّا بِشْرٌ فَقَالَ لَهُ سَوَادَةُ أَخُوهُ : إِنَّكَ تُقَوِّى ! فَقَالَ لَهُ : وَمَا الْإِقْوَاءُ ؟ فَأَنْشَدَهُ بَيْتِيه :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ طَوْلَ الدَّهْرِ يُسَلِّي وَيُنْسِي مِثْلَ مَا نُسِيتَ جُدَامُ
وَكَانُوا قَوْمَنَا فَبَعَوْا عَلَيْنَا فَسُقْتَاهُمْ إِلَى الْبَلَدِ الشَّامِيِّ

وآخر الأول منها « نسيت جدام» فرفع ، ثم قال « إلى البلد الشامى » فخفض . ففطن بشر فلم يعد .

وتبين هذه الأخبار أن من فطنوا إلى هذا الخلل سموه الإقواء ، واشتقوا منه الفعل أقوى . كذلك فطنوا إلى خلل آخر سموه الإكفاء ، قال الأخفش^(٧) : سألت العرب الفصحاء عن الإكفاء ، فإذا هم يجعلونه الفساد في آخر الشعر والاختلاف من غير أن يحدوا في ذلك

(٥) الموشح ٣٨ - ٤٠ الرائج : السائر في المساء . والمتندى : السائر في الصباح . والزاد هنا : ما وهبه حبيته من نحية أو رد سلام أو وداع . والبوارح : الطير التي يتشام بها .

(٦) الموشح ٥٩ . الشعر والشعراء ٢٧٠ .

(٧) القوافي ٤٣ . تفض : يتخذ لها عفاص ، أى سداد . والحجاج : العظم حول العين . وتلخص : يكثر اللحم في جفن العين العليا . والصبران : القطمان . والمها : البقر الوحشى . والمتقر : الواثب .

شيئاً، إلا أنني رأيت بعضهم يجعله اختلاف الحروف، وأنشدته :

كَأَنَّ فَا قَارُورَةً لَمْ تُعْفَصِ
مِنْهَا حِجَابًا مُقْلَةً لَمْ تُلْخَصِ
كَأَنَّ صَيْرَانَ الْمَهَا الْمُتَقَرَّرِ

فقال : هذا إكفاء . وأنشده آخرقوافي على حروف مختلفة ، فعابه ، ولا أعلمه إلا قال : قد أكفأت . . . والمكفأ في كلامهم هو المقلوب .

وظنوا إلى خلل سموه السناد . قال الأخفش^(٨) : « وأما ما سمعت من العرب في السناد فإنهم يجعلونه كل فساد في آخر الشعر ، ولا يحدون في ذلك شيئاً . وهو عيب عندهم . ولا أعلم إلا أنني قد سمعت بعضهم يجعل الإقواء سناداً . وقال الشاعر : ه فيها سناد ، وإقواء ، وتحريده فجعل السناد غير الإقواء ، وجعله عيباً ، ومن السناد أيضاً قوله :

تَعْرِفُ فِي قِعْدَتِهِ وَحَبِيبَتِهِ
أَنَّ الْغَدَاءَ إِنْ دَنَا مِنْ حَاجَتِهِ
وَامْتَدَّ عَرْشًا عُنُقَهُ لِلْقَمِيَّتِهِ

وظنوا إلى خلل سموه التحريد . قال الأخفش^(٩) : « وفيه التحريد ، ولا يحدون فيه شيئاً ، إلا أنهم يريدون به غير المستقيم ، مثل الحرْد (العوج) في الرجلين . وذكره النابغة الذبياني فقال^(١٠) :

وَعَثُ الرَوَايَةِ ، بِأَدَى الْعَيْبِ ، مُتَكِبٌ فِيهِ سِنَادٌ ، وَإِقْوَاءٌ ، وَتَحْرِيدٌ
يتضح من هذا أن العرب فطنوا إلى أنواع من الخلل تصيب آخر البيت من الشعر فتعيبه . وسموها الإقواء والإكفاء والسناد . ولكن إحساسهم بهذه الأنواع - فيما يبدو - بقي مبهماً ، لم يستطيعوا أن يحدده ، ويضعوا الفواصل بينه وبين غيره . ولذلك قال المرزباني^(١١) :
« والعرب قد تخلط فيما بين الإكفاء والإقواء . . . والسناد : هو أيضاً فساد في القافية ، وقد جعله قوم بمنزلة الإقواء والإكفاء . »

وإنما حددها العلماء^(١٢) ، وميزوا بينها ، وخاصة الخليل ، قال^(١٣) : « رتبت البيت من

(٨) ٥٥ . العرش : لحة مستطيلة في جانب العنق .

(٩) ٦٨ .

(١٠) التنوخي : القوافي ١٣٦ . والوعث : العسر الشاق . والمتكب : المنحرف .

(١١) الموشح ١٥ ، ٢٤ .

(١٢) للموشح ١٥ .

(١٣) للموشح ٢١

الشعر ترتيب البيت من بيوت العرب الشعر . . . فسميت الإقواء ما جاء من المرفوع في الشعر والمخفوض على قافية واحدة . . . وسميت تغير ما قبل حرف الروى سناداً . . . وسميت الإكفاء ما اضطرب حرف رويه . . . » .

وقال ابن السراج^(١٤) : « وبعضهم جعله (أى التحريد) اختلاف الضروب أو الأعاريض في الشعر الواحد . . . » . وقد أدى ذلك إلى عدم اتفاقهم على مفهوم واحد لهذه الألفاظ :

وميز العرب القدماء بين الشعر الذى عابته هذه الأنواع من الخلل ، والشعر غير المعيب ، قال الأخصس^(١٥) :

« وفي القوافي النصب والبأو ، وذلك كل قافية سليمة من السناد ، تامة البناء . فإذا جاء ذلك في الشعر المجزوء لم يسموه نصباً ولا بأواً ، وإن كانت قافيته قد تمت ، نحو قوله :
 هـ قد جبر الدين الإله فَجَبْرَه . فلم يميز بين الاسميين . وأظن أن علماء العروض لما وجدوا الإسميين عندهم ميزوا بينها . قال ابن السراج^(١٦) : « وقيل النصب : تجنب المستحب من السناد ، والبأو تجنب المستحسن منه » . وصرح تصريحاً قاطعاً أن الاسميين مرويان عن العرب وليس من ابتكار الخليل ، قال : « سمعنا ذلك من العرب ، وليس ذا مما سمى الخليل ، وإنما تؤخذ الأسماء من العرب » .

لا غرابة إذن أن أقول : إن الشعراء فطنوا إلى هذه العيوب ، وحاولوا تجنبها . ودليل على ذلك قول الشاعر المخضرم كعب بن زهير في أثناء حديثه عن شاعريته هو والخطيبة . قال^(١٧) :

فن للقوافي ، شأنها من يحوكها إذا ما توى كعب ، وقوز جرول
 يقول فلا يعيا بشيء يقوله ومن قائلها من يسى ويعمل
 يقومها حتى تقوم متونها فيقصر عنها كل ما يتمثل

وقد رد عليه المزدرد بن ضرار العطفاني متبرئاً من السرقة ومن أحد العيوب السابقة ، فقال^(١٨) :

(١٤) الكافي ١١٥ .

(١٥) ٦٤ .

(١٦) ١١٤ .

(١٧) ديوان كعب ٥٩ . وبحوكها هنا : يصنعها . وتوى : أقام ، أى دفن . وقوز : هلك . وجرول : الخطيبة .

ومتونها : ظهورها ، يريد تهذيبها . ويقصر : ينحط . ويتمثل : ينشد ويروى .

(١٨) ديوانه . ٨٠ .

وباسمك إذ خلقتني خلفَ شاعرٍ من الناس لم أكنفي ولم أنتحل
 وفي العصر الإسلامي رهف الحس العربي ، وعمق الوعي ، فلم يقتصروا على التفتن إلى
 ما يصيب القوافي من نقص في موسيقاها ، بل تعدوا ذلك إلى عيب أخفى : قال أبو هلال
 العسكري^(١٩) : «ما عيب من القوافي قول ابن قيس الرقيات ، وقد أنشد عبد الملك :

إنَّ الحوادثَ بالمدينةِ قد أوجعتني وقرعنَ مرويةً
 وجيبتني جبَّ السنامِ فلم يركنَ ريشاً في مناكيه

فقال له عبد الملك : أحسنت ، إلا أنك تخشيت في قوافيك . فقال : ما عدوت قول الله
 عز وجل : (ما أغنى عنى ماله . هلك عنى سلطانيه)^(٢٠) . وليس كما قال ، لأن فاصلة الآية
 حسنة الموقع ، وفي قوافي شعره لين . فما تنبه إليه عبد الملك ليس إخلالاً بأحد شروط القافية
 المتفق عليها بل هو عيب فني .

تلك هي الأمور المتصلة بالقافية التي تنبه لها العرب وتحدثوا عنها ، غير أن حديثهم كان
 مجرد إشارة ، وإبانة لعيب . ولم يتعد ذلك إلى تفضيل أو تععيد .
 وبقيت قواعد القافية تنتظر من يكشف عنها ، ويحلها أمام الأنظار ، إلى أن جاء أول من
 فعل ذلك للوزن الشعري ، ففعله للقافية أيضاً : أي أنه تناول موسيقى الشعر الظاهرة بشرطها .
 وكان الذي فعل ذلك أبا عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٥ هـ) ،
 ولم يفرد الخليل كل شطر بكتاب ، بل جمعها معاً في كتاب واحد سماه أكثر الكتاب
 « العروض » ، وشذ عنهم الزبيدي^(٢١) فجعله كتابين باسم « الفرش » و « المثال » ، أولها م مهد
 لثانيها .

ومنذ ذلك العهد ، بقي صنيعه تقليداً متبعاً في جميع كتب العروض ، تبدأ بتناول الوزن ،
 وتنتهي بتناول القافية ، سواء أسهت أو أوجزت ، ولكن عدداً من المؤلفين أصدرت كتباً
 خاصة بالقافية ، سواء وهبوا للوزن كتاباً آخر أو لم يؤلفوا فيه . وهذه الكتب الخاصة بالقافية
 هي التي أود أن أقف عندها ، والتي بعض الضوء عليها ، وإن كنت أوقن أن بعض الدراسات
 غير المفردة كانت أهم من بعض هذه الكتب ، وأحسب أن بعض هذه الكتب لم تكن مستقلة

(١٩) الصناعتين . ٤٥٠ .

(٢٠) الحاقة : ٢٨ و ٢٩ .

(٢١) طبقات النحويين واللغويين ٢٩١ .

يوم دونها مؤلفها ، بل كانت جزءاً من كتاب في العروض . ثم أفردها بعض النساخ أو المقتنين .

وتدل الدلائل كلها أن ما كتبه الخليل عن القافية كان في تمام ما كتبه عن الوزن ، فصار عماد كل من جاءوا بعده ، ولم يستطيعوا أن يضيفوا إليه غير القليل . وبعض التفرعات ، وما أتى به البديع الذي أولع به الشعراء المتأخرون .

وأقدم من نعرفه من المؤلفين في القوافي كتباً خاصة أبو محرز خلف بن حيان الأحمر البصرى (المتوفى حوالي سنة ١٨٠ هـ) ، أعلن ذلك أبو العلاء المعرى^(٢٢) ، وإن كان حديثه عنه يدل على سماعه به وعدم رجوعه إليه ، قال : «وقد رُئي في القوافي كتاب للفراء ، وكتاب لخلف ابن حيان ، فإن لم يجلوا من ذكر الإشباع فهذا يدل على . . .» .

ولم أعثر لخلف إلا على قولين يتعرضان للقافية ، ربما كان أولها مأخوذاً من كتابه ، ويتحدث عن الإيطاء^(٢٣) . أما الآخر فحوار دار بينه وبين محمد بن سلام الجمحي^(٢٤) ، خالف فيه خلف الخليل ، وتدل الظواهر أنه ليس من كتابه ، وإن لم أستبعد أن يدون فيه مثل ما قاله لابن سلام .

ويدل قول المعرى على أن أبا زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (١٤٠ - ٢٠٧) ألف كتاباً في القوافي أيضاً ، ويؤيد قوله أكثر من قول آخر . فقد وصف أبو سعيد نشوان الحميري^(٢٥) ذلك الكتاب بالصغر والاختصار ، ورجع إليه في عدة مواضع ، وتعرض التنوخي^(٢٦) لشيء من مادته ، فأعلن أنه أول من كشف عن أضرب القوافي المقيدة والمطلقة تبعاً للحروف المقرنة بها . . . وروى البغدادي^(٢٧) عن الفراء حديثاً يتعرض لضرورة شعرية وقع فيها ليبيد بن ربيعة العامري ، غير أننا لا نعرف الكتاب الذي أخذه منه ، على وجه اليقين . وأقدم كتاب وصل إلينا هو كتاب أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (المتوفى حوالي سنة ٢١٥) الذي حققه الدكتور عزت حسن ، ونشرته مديرية إحياء التراث القديم من وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي بدمشق في ١٣٩٠ / ١٩٧٠ ، ونقده السيد أحمد راتب النفاخ في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في ١٣٩٢ / ١٩٧٢ . ثم أعاد تحقيقه ونشره عن دار الأمانة في ١٩٧٤ .

(٢٥) الحور العين ٤٤ . ٩٤ . ٩٦ . ١٠٣ .

(٢٦) ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢٧) خزائن الأدب ٤ : ١٧٤ .

(٢٢) شرح لزوم ما لا يلزم ١ : ٢٣ .

(٢٣) التنوخي ١٢٧ .

(٢٤) طبقات فحول الشعراء ٢٠٥ .

وأبان الكتاب القواعد التي التزم بها الشعراء في القوافي ، والعيوب التي وقعوا فيها ، والأجزاء التي تندرج تحت اسم القافية : فبدأ بتعريف القافية ثم الحروف التي تفتقرن بها ، والحركات التي تعلقها أو تعلق الحروف المجاورة لها ، وعيوبها ، وما يصلح أن يكون رويًا وما لا يصلح ، وما يجوز وما لا يجوز فيها ، وطرق إنشاد العرب إياها .

وروى المؤلف في كتابه عن العرب الفصحاء مباشرة ، شأن المعنيين باللغة ، وأخذ عن تعرض للقوافي قبله أو روى الأشعار ، وخاصة الخليل ثم أبي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي ويونس بن حبيب والمازني وغيرهم ، وقابل بعض أقوالهم ببعض ، وارتضى أقوالاً ، ورفض أخرى . وعاش كتابه قريباً من المهتمين بالعروض والقوافي ، فصار أحد العمد التي بنوا عليها كتبهم . وبلغ من إعجاب ابن جني به أن شرحه في كتاب خاص . قال الخطيب البغدادي^(٢٨) : « قال ابن جني في إعراب الحماسة . . . وقد تقصبت هذا في كتابي المَعْرَب » ، وهو تفسير قوافي أبي الحسن .

ثم ألف أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي (المتوفى في ٢٢٥) كتاباً في القوافي ، لم يصل إلينا ، ولم يذكره أحد ممن ترجموا مقتصرين على كتاب العروض ، ولكن محمد بن خير الإشبيلي^(٢٩) رواه عن شيوخه عن السيرافي عن الفارسي عن الزجاج عن المبرد عنه ، وذكره إسماعيل باشا البغدادي^(٣٠) في إيضاح المكنون . وقد أورد التبريزي^(٣١) رأياً له في الإيطاء ، والتنوخي^(٣٢) رأياً في الرس ، وغير بعيد أن يكونا قد أخذاهما من هذا الكتاب .

ثم ألف أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢١٠ - ٢٨٥) كتابه « القوافي » ، وما اشتقت ألقابها منه . الذي حققه الدكتور رمضان عبد التواب ، ونشره عن مطبعة جامعة عين شمس في ١٩٧٢ . وهو كتيب صغير تناول ضروب الروي المقيّد والمطلق ، وعيوب القوافي معتمداً على مجرد التعريف وإيراد الشاهد ، فلا مناقشات ولا أقوال تنسب إلى أصحابها فيه . وعلى الرغم من ذلك ، تدلنا الأخبار السابقة أنه أفاد فيه من الفراء والجرمي ؛ كما تدلنا المقتبسات منه أن التنوخي والحميري^(٣٣) أفادا منه .

ثم ألف أبو الحسن محمد بن أحمد (بن) كيسان (المتوفى في ٢٩٩) كتابه « تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها » الذي حققه وليم رايت William Wright أستاذ العربية في جامعة

(٣١) ١٦٣ .

(٢٨) خزنة الأدب ٢ : ٣٣١ .

(٣٢) ٩٨ .

(٢٩) فهرسة مارواه ٣٤٢ .

(٣٣) التنوخي ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٢٥ . والحرور العين ٩٤ .

(٣٠) ٢ : ٣٢٣ .

دبلن ، ونشره في مجموعته التي سماها «جزرة الحاطب وثُحفة الطالب» في سنة ١٨٥٩ . وقد بدأه بتعريف القافية ، ثم تناول الحروف المقترنة بها ، وحركاتها ، وعيوبها ، وإنشادها ، وأصنافها تبعاً لعدد حروفها ، والضرائر المتصلة بها . وكان همه الأول أسماء كل ما تناول واشتقاقها ، ومرجعه الأول كتاب الخليل وإن لم يغفل كتاب الأخفش .

ثم ألف أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى الزجاج (٢٤١ - ٣١١) كتاب «الكافي في أسماء القوافي» الذي نسبه له مترجموه ، ورواه ابن خير الإشبيلي^(٣٤) عن شيوخه عن القالي عنه ، ولم أعثر إلا على قول واحد له متصل بالقوافي ، هو القول الذي أتى به التنوخي^(٣٥) في اشتقاق اسم المتكاوس من القوافي .

ثم ألف أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (المتوفى سنة ٣٤٠ هـ) كتابه «المخترع في القوافي»^(٣٦) . ولعله الكتاب الذي رجع إليه ابن رشيق في العمدة^(٣٧) .

ثم ألف أبو الفتح عثمان بن جنى (٣٢٢ - ٣٩٢) عدداً من الكتب في القوافي . منها «مختصر العروض والقوافي» . فقد اطلع ياقوت على إجازة كتبها ابن جنى لأحد الآخذين عنه ، في سنة ٣٨٤ ، وعدد فيها كتبه ، فوجد فيها كتاب «مختصر العروض والقوافي»^(٣٨) . وذكر مما لم تتضمنه هذه الإجازة كتاب «المعرب في شرح القوافي» و«شرح الكافي في القوافي»^(٣٩) . أما الكتاب الأول فالظنون أن العروض منه انفصل عن القوافي^(٤٠) ، واستقرت نسخ منه في المكتبة القيسرية التي كانت ببرلين تحت رقم ٧١٠٨ ، ومكتبة فينا تحت رقم ٢٢٢ ، والمتحف البريطاني تحت رقم Or ٨٤٩٨ ، ولا لى تحت رقم ١٩٨٣ ، وبشير أغا أيوب تحت رقم ١٥٤ . واستقرت نسخ القوافي في مكتبة الإسكوريال تحت رقم ٤٤٢ ، ولا لى تحت رقم ٣٧٤٠ .

وأما الكتاب الثاني فقد عرفنا ابن جنى أنه شرح لكتاب الأخفش^(٤١) ، ورجع إليه

(٣٤) فهرسة ما رواه ٣٥٦ .

(٣٥) ٦٠ .

(٣٦) كشف الظنون ٥ : ٤٤٠ . بغية الرعاة ٢ : ٧٧ .

(٣٧) ١ : ١٥٣ .

(٣٨) معجم الأدباء ١٢ : ١٠٩ ، ١١١ .

(٣٩) معجم الأدباء ١٢ : ١١٣ .

(٤٠) مقدمة الخصائص ٦٣ . تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١ : ١٢٦ .

(٤١) الخصائص ١ : ٨٤ ، ٩٩ . خزنة الأدب ٢ : ٣٣١ .

التنوخى^(٤٢) في تعريف القافية ، والحديث عن التأسيس ، وابن سيده في المخصص^(٤٣) وأما الكتاب الثالث فأظنه شرحاً لكتاب الزجاج . وأعلن ياقوت^(٤٤) أنه « وُجد على ظهر نسخة ذكرنا ناسخها أنه وَجَدَه بِمِخْطِ أَبِي الْفَتْحِ عُمَانَ بْنِ جَنِي - رحمه الله - على ظهر نسخة من كتاب المحتسب في علل شواذ القراءات » .
ثم ألف أبو علي الحسين بن محمد السَّهْوَاجِي^(٤٥) (المتوفى سنة ٤٠٠ هـ) كتابه الذي لا نعرف عنه شيئاً .

ثم ألف أبو الحسن علي بن سيده (٣٩٨ - ٤٥٨) كتابه « الوافي في أحكام علم القوافي » ، الذي عالج فيه الضرائر الشعرية ، ونقد باب عيوب الشعر وطوائف قوافيه من كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام ، ورجع إليه كثيراً في المحكم^(٤٦) (وجاء في اللسان عنه) . ووصفه طاش كبرى زاده^(٤٦) بأنه مبسوط .

ثم ألف القاضي أبو يعلى عبد الباقي بن المحسن التنوخى ، من أهل القرن الخامس ، كتابه الذي حققه السيدان عمر الأسعد ومحيى الدين رمضان ، ونشراه في سنة ١٣٨٩ / ١٩٧٠ عن دار الإرشاد ببيروت . وافتتحه بتعريف القافية ، ثم تحدث عن أنواع القوافي تبعاً لعدد حروفها ، وعن حروفها ، وحركاتها ، وأصنافها من حيث الإطلاق والتقييد ، وختم بعيوبها . وهذا الكتاب أكبر كتاب بقي لدينا عن القوافي ، وأكثرها استفادة من الكتب السابقة عليه ، وأشملها لمادته .

ثم ألف أبو القاسم علي بن جعفر بن محمد السعدى المعروف بابن القطاع (٤٣٣ - ٥١٥) كتابه « الشافي في علم القوافي » الذي تفتنى دار الكتب المصرية ثلاث نسخ منه تحت أرقام (٩ ، ١٠١ ، ٤ ش عروض) وهو كتاب صغير ، اعتمد مؤلفه فيه على الخليل والأخفش والقراء ، وتحدث بإيجاز عما تحدث عنه المؤلفون السابقون . والطريف فيه التفرقة التي ختمه بها بين الشعر والنثر .

(٤٢) ٥٨ ، ٨٤ .

(٤٣) ١ : ١٣ .

(٤٤) معجم الأدباء ١٢ : ١١٣ .

(٤٥) معجم الأدباء ١٠ : ١٦١ . فوات الوفيات ١ : ٢٦٢ . إيضاح المكنون ٢ : ٣٢٣ .

(٤٦) ١ : ٤ ، ١٠ وانظر المقدمة ٧ .

(٤٧) مفتاح السعادة ١ : ١٧٧ ، ٦ : ٤١٨ .

وألف أبو بكر محمد بن عبد الملك- بن السراج الشنترني (المتوفى سنة ٥٤٩ تقريباً) كتابه «الكافي في علم القوافي» . الذي حققه الدكتور محمد رضوان الداية . ونشره المكتب الإسلامي بدمشق في ١٩٦٨ . ثم أعيد طبعه في ١٣٩١ / ١٩٧١ ، وهو متوسط الحجم ، يعتمد على الخليل والأخفش والقراء ، وتناول ما تناوله الأخفش من جوانب .

وألف ناصح الدين سعيد بن المبارك بن علي الأنصاري المعروف بابن الدهان (٤٩٤ - ٥٦٩) كتابه «المختصر في علم القوافي»^(٤٨) ، الذي رجعت إليه إحدى حواشي كتاب^(٤٩) التبريزي في الحديث عن الإدماج .

وألف أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان الحميري (المتوفى سنة ٥٧٣) كتابه الذي سماه مؤرخوه^(٥٠) «القوافي» ، والمظنون أنه مادعاه هو^(٥١) «بيان مُشكل الرُوى وصراطه السُّوى» .

وذكر طاش كبرى زاده^(٥٢) أن أبا الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور (٥٩٧ - ٦٦٣) له «كتاب جم القوائد» ، ولكنّ مترجميه لم ينسبوا له شيئاً في القوافي .

وألف أمين الدين محمد بن علي بن عبد الرحمن الأنصاري المحلي (٦٠٠ - ٦٧٣) منظومته «الجوهرة الفريدة في قافية القصيدة» ، التي تقتني دار الكتب المصرية نسخة منها تحت (رقم ١٠ عروض) ومكتبة الأزهر نسخة أخرى تحت (رقم ٦ عروض) . ثم ألف أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين الرباطي المعروف بابن برى (٦٦٠ - ٧٣٠) كتاب «الكافي في علم القوافي» الذي تقتني دار الكتب المصرية نسخة منه تحت رقم ٣ ش عروض ، وهو مختصر في تعريف القافية وإبانة أنواعها .

وألف شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد الأصبحي العنابي الأندلسي (٧٧٦) كتاب «الوافي في معرفة القوافي»^(٥٣) .

وألف شرف الدين أبو محمد إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله الشاوري اليمنى المعروف بابن

(٤٨) معجم الأدباء ١١ : ٢٢٢ . نكت الحميان ١٥٨ . بقية الرعاة ١ : ٥٨٧ . كشف الظنون ٥ : ٤٥٠ .

(٤٩) الكافي في العروض والقوافي ٢٠٤ رقم ٣ .

(٥٠) الحور العين ٢٥ .

(٥٢) ١ : ١٧٧ .

(٥٣) الحور العين ٨٧ . وانظر مقلّمته ٢٥ . (٥٣) بروكلمان ٢ : ٣٢٢ .

المقرى الشافعى (المتوفى سنة ٨٣٧) كتابه الذى تحتفظ مكتبة الأزهر بنسخة منه تحت (رقم ٧٣٧ مجاميع) .

وألف أبو البقاء محمد الأحمدى الشافعى «الزبد الكافية الشافية فى إبراز مكنونات فوائد القافية» ، فى سنة ٩١٦ ، كما تدل النسخة المحفوظة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ١٤١ عروض .

وألف خليل بن إبراهيم الكريدى كتابه ، الذى تفتنى مكتبة الأزهر نسخة منه مدونة سنة ١٠١١ تحت رقم ٢١٦ عروض .

ثم ألف عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين العصامى الإسفراينى المعروف بملا عصام (٩٧٨ - ١٠٣٧) كتاب «الكافى الوافى بعلم القوافى» وهو مختصر ، تفتنى دار الكتب المصرية نسختين منه تحت رقم ٣٤ مجاميع ، و ٣ مجاميع ش .

كذلك أعلن طاش كبرى زاده^(٥٤) أن من الكتب المختصرة المؤلفة فى علم القوافى كتاب الأيكى ، كما نسب له مختصراً بديعاً فى العروض^(٥٥) . ولم أستطع الاhtداء إلى المؤلف ولا إلى حقيقة كتابه أو كتابيه . وذكر أيضاً أرجوزة لم ينسبها إلى أحد سماها «الآيات الوافية فى القافية»^(٥٦) .

وفى العصر الحديث ألف الشيخ أحمد عثمان المحرزى الحنفى كتابه «الكلمة الكافية فى علم القافية» ونشره عن مطبعة الرغائب بالقاهرة سنة ١٣٣٥ هـ .

ونخلص من هذا العرض إلى أن المؤلفات العربية التى أفردت للقافية كثيرة لا أدعى أننى استطعت حصرها حصرأ شاملاً لم يغادر منها شيئاً ، وأن كثيراً من هذه المؤلفات مفقود ، وأن ما طبع منها قليل . والظاهرة الواضحة فى هذه الكتب أن اللاحق منها لا يكاد يضيف إلى سابقه شيئاً ، وإنما الفروق بينها فى الإيجاز والبسط والشواهد والعبارة ، ما عدا التقسيم الذى يقال : إن الفراء أحدثه . ويتعدى الشبه المادة إلى المنهج ، فتكاد تماثل فى الأقسام والترتيب أيضاً . ولا تخضع المصطلحات لتطور غير الذى وقع بين الخليل والأخفش تقريباً .

(٥٤) مفتاح السعادة ١ : ١٧٧ .

(٥٥) مفتاح السعادة ٤ : ٣٠٢ - ٣ .

(٥٦) مفتاح السعادة ٤ : ١٩٨ .